

اليوم رقم 2

بسم الله الرحمن الرحيم

سبق وقدمنا السور التسع الأولى مع تقديم مشروع تدبر القرآن، والأمل في أن القراء قد قاموا بقراءتها سورة، سورة مع التعليقات، ثم الاستماع للسورة من المقرئ واستحضار التعليقات. وهو ما نرجوا ونطلب من القراء أن يقوموا به كل يوم مع ما سيعرض من سور.

ونذكر بأنه لا حاجة للانضمام للمجموعة الآن، لأن نقاش ما يعرض سيؤجل إلى ما بعد شهر رمضان، وبالتالي فيمكن لأي قارئ أن يستفيد من المشروع ويشارك فيه بمجرد الوصول للصفحة وقراءة ما هو مكتوب يومياً، مصحوباً بالاستماع للمقرئ وهو يتلو نفس الآيات التي نقرأ التعليقات عليها.

واليوم هم اليوم الأول لشهر رمضان، وسنتناول 17 سورة من أصل 37 سورة نزلت في المرحلة الرابعة / مرحلة استمرار الدعوة. وسور اليوم، هي: الأعلى، العلق، القارعة، الزلزلة، الانفطار، الانشقاق، التكوير، الشمس، الليل، الطارق، الفجر، البلد، القيامة، النبأ، ق، الواقعة، الغاشية.

الجو العام قبيل نزول السور

بعد نزول سورة المدثر التي مثلت الإعلان الفعلي للدعوة، أصبح من الواضح لقريش أن محمداً جاد في دعوته ومستمر فيها، ولم تكن نزوة عابرة سرعان ما تخبو.

والدعوة الجديدة تقول أن عبادة الأصنام باطلة، وأن هناك حياة بعد الموت، وهناك عذاب وثواب. وتطلب من قريش أن يدفعوا من أموالهم لسد احتياجات الفقراء والمحتاجين دون مقابل، كما تطلب تغيير معتقداتهم ودين آبائهم.

وهذه السور بوجه عام تجيب على تساؤل قريش عن مكان ووقت البعث. وتقول لهم أن البعث سيكون بعد انهيار الكون. وذلك بتقديم صور حسية عن ذلك الانهيار، وتكرر الصور الحسية في كل سورة تقريباً.

ويمكن ملاحظة أن السور التي تبدأ بـ "إذا" كأنه سبقها سؤال: متى يكون البعث؟ وبدل أن تقول الآيات أن قريش سألت هذا السؤال تبدأ السور بالإجابة مباشرة.

ثم تضيف السور اللاحقة أن البعث يكون بعد انهيار هذا الكون حيث سينشأ كون جديد وهناك سيكون البعث. كما تؤكد أن هناك آلية في النفس تسجل كل ما يقوم به الإنسان منذ الولادة إلى الموت، وبناء على هذه الصحيفة سيكون الحساب. والسور تصور انهيار الكون وآلية تسجيل الأعمال بصور حسية معروفة لقريش لتقريبها في الذهن.

وقبل ذلك فمن المحتمل أن محمداً عليه الصلاة والسلام قد شعر بالقلق وبدأ يتساءل في داخله إن كان باستطاعته أن يتمكن من إقناع قريش، وكيف سيتمكن من تذكر ما ينزل عليه من الوحي، وكيف وبأي طريقة سيكون الإنذار، وتساؤلات أخرى.

فنزلت عليه سورة الأعلى التي تبدأ بـ:

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى {1} الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى {2} وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى {3} وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى {4} فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى {5} سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى {6} إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى {7} وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى {8}.

(الآيات: 1-8) بعد أن أمرت المدثر محمداً بالبده بالدعوة، تطلب هذه السورة من محمد أن يستمر في ذكر الله وتسبيحه، فهو سبحانه من خلق وقدر كل شيء. وتخبر الآيات محمد أن الوحي سينسخ في ذاكرته بطريقة لن ينساه معها ما بقي حياً. وسيسهل الله لمحمد مهمته فلا يقلق. (يمكن أن تسجل هنا أدلة على أن القرآن ينسخ في الذاكرة).

فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى {9} سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى {10} وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى {11} الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى {12} ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى {13} قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى {14} وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى {15}

وتطلب الآيات (9-15) من محمد أن يستمر في الدعوة "التذكير"، دون إلحاح، لأن قبولها خيار شخصي لمن يرغب في النجاة من النار، وليس من مسؤولية محمد إقناع الناس بقبولها. وتحذر الآيات المكذب بالنار وتبشر المؤمن المواظب على الصلاة بالجنة. (ثاني مرة تذكر فيها الصلاة بعد أن ذكرت في الآية 43 من سورة المدثر).

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا {16} وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى {17}

وتؤكد (الآيتان: 16-17) ما سبق وذكرته سورتي التكاثر والعاديات، حول حقيقة أن الناس (قريش) يؤثرون حب الدنيا والتمسك بها وعدم الاهتمام بالآخرة.

إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى {18} صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى {19}

وتقول (الآيتان: 18-19) أن الدين الذي يدعوا له محمد هو نفس الدين الذي كان عليه إبراهيم (جد قريش الأعلى) ودعا له موسى (الذي أرسل لبني عمهم إسحاق).

ثم نزلت سورة العلق

أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ {1} خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ {2} أَفْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ {3} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ {4} عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ {5}

يبدو أن محمداً عندما أُمِرَ في سورة المدثر السابقة بالبدء بالإنذار والدعوة، تساءل في نفسه كيف يُنذر، وما هي الطريقة؟

فجاءت هذه الآيات لتبين له أن كلما عليه هو تلاوة القرآن على الناس.

كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ {6} أَن رَّاهُ اسْتَعْزَى {7} إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ {8}

وتؤكد (الآيات: 6-8) ما ذكرته الآيتان: 16-17 من سورة الأعلى من أن الناس (قريش) جبلوا على حب الدنيا وعدم التصديق بالآخرة.

أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى {9} عَبْدًا إِذَا صَلَّى {10} أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى {11} أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقَى {12} أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى {13} أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى {14} كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ {15} نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ {16} فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ {17} سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ {18} كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ {19}

(الآيات: 9-19) للمرة الثانية يتحدث القرآن عن أحد كبراء قريش المكذبين بدعوة محمد، بعد الآيات 11-26 من سورة المدثر. والآيات هنا تذكر أن أحد الكبراء كان ينهر رسول الله عندما يراه يصلي، وتتوعد بالعقاب يوم القيامة، وتأمُر الرسول بأن يواصل صلاته ولا يعير نهر هذا القرشي أدنى انتباه.

ويمكن أن نفهم ما حدث كما يلي: فالرسول قد بدأ يصلي في المسجد الحرام وقرب الكعبة – حيث مجالس قريش وتجمعهم – فلاحظوا هذه الحركات الغير مألوفة لديهم التي يقوم بها محمد، والتي لم يبدأ بأدائها إلا بعد أن زعم أنه رسول من الله ويدعوا لدين جديد. فما كان من أحدهم إلا أن سارع لنهر الرسول وزجره عن أداء صلاته. وهو ما يعني أن صلاة الرسول لم تكن معروفة لقريش (وهو ما يخالف من يظن أن الصلاة كانت معروفة عند قريش وأن الإسلام أقرها فقط).

إلى هنا بدأت الصورة تتضح أكثر في مكة. فمحمد استمر في دعوته، ومعها ظهرت عبادات غريبة يؤديها قرب الكعبة، ويقوم والنفر القليل معه بإعطاء أموالهم للمحتاجين دون مقابل، ويقول أن هذا سيضمن لهم جنة بعد الموت. وهذا يتعارض مع معتقدات مكة وأسلوب حياتهم – الرأسمالي - الذي توارثوه.

لقد انقسمت مكة إلى طائفتين: الغالبية الساحقة ترفض ما يدعوا له محمد، وتتمسك بمعتقداتها وموروثها الثقافي. ومحمد ونفر قليل سلكوا مسلكاً جديداً مختلفاً. وبدأ رجال قريش يسألون محمد: متى هذا البعث الذي تزعم؟ وكيف سيحاسب الناس بعد موتهم؟

فنزلت سورتي القارعة والزلزلة لتقديم صور حسية للبعث وتؤكد أن الحساب سيكون بموجب صحيفة الأعمال التي تصور بصور حسية أيضاً.

(وستكرر سور كثيرة تصوير البعث وانهيار الكون ونشأة كون القيامة وسجل الأعمال بصور حسية مختلفة، لتقريبها في الذهن).

بعد ذلك نزلت سورتي الانفطار والانشقاق برسالتين متشابهتين:

لتعطي (الآيات: 1-3 من الانفطار، 1-5 من الانشقاق) صور حسية لنهاية هذا الكون: فالسماء ستنفطر وتنشق وستتناثر الكواكب وتتفجر البحار، وتتمدد (تنشق) الأرض وتلقي بما في جوفها. وهذه الصور لتقول لقريش أن هذا الكون سينهار ثم يكون البعث (الآيتان: 4-5).

وتتساءل آيات السورتين: كيف يكفر الإنسان (والمقصود هنا قريش) بقدرة الله على البعث وهو قد خلقه.

وتعطي صوراً حسية أخرى لصحيفة الأعمال لتقريبها من الذهن.

وتضيف (الآيات: 13-19 من سورة الانفطار) شيئاً جديداً يتمثل في أن كل شخص سيحاسب بما يقدم هو لنفسه ولا يقوم أحد بعمل نيابة عن الآخر. وهو ما ستؤكد سور أخرى فيما بعد بأنه لا تزر وازرة وزر أخرى. (دليل على أنه لا يمكن أن أنوب بعبادة مثل الحج أو أتصدق بمال أو عين عن شخص آخر حي أو ميت).

كما أن آخر آيات سورة الانشقاق تتوعد المكذبين وتعد المؤمنين.

(الآية: 25 من سورة الانفطار) دليل على أن المطلوب الإيمان مع العمل الصالح، ولا يكفي واحد دون الآخر. وسيتكرر تأكيد ذلك في سور كثيرة.

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ {1} وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ {2} وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ {3}

في السورة السابقة "الزلزلة" أعطت صورة حسية لانفجار الأرض، لتقول أن هذا الكون سينتهي، وفي هذه السورة صور أكثر تفصيلاً لانتهيار الكون. فالسما ستنفطر، والكواكب تنتثر، والبحار تنفجر. وهي صور تقول أن هذا الكون بنجومه وكواكبه سنهار، بدءً بانفراط منظومة المجموعات الشمسية "السما انفطرت"، والكواكب تتأثرت، والبحار في الأرض تفجرت "هاجت".

وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ {4} عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ {5}

وكما السورة السابقة، لا تتحدث هذه السورة عن نشأة كون القيامة، وتنتقل مباشرة وكأن القيامة قامت وبعث الناس من الموت "القبور بعثرت" وهذه كناية لبعث الناس ولا تعني بالضرورة أن الناس ستخرج من قبورها، لأن القبور كانت على الأرض الدنيوية التي انتهت. وفي ذلك اليوم سيكون الحساب.

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ {6} الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ {7} فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ {8}

فكيف يكفر الإنسان بربه الكريم الذي خلقه وقادر على بعثه؟

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ {9}

تأكيد لما ذكرته الآيتان 16-17 من سورة الأعلى، والآيات: 6-8، من أن الناس جبلوا على حب الدنيا وعدم التصديق بالآخرة.

وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ {10} كِرَامًا كَاتِبِينَ {11} يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ {12}

هنا الآيات تعطي صورة حسية مختلفة عما قدمته في سور سابقة عن صحيفة الأعمال. فهي هنا تصورها على أنها سجل يقوم بكتابته مخلوقات، لزيادة التأثير والتصور للمستمع. وإلا فالصحيفة تسجل بطريقة آلية وهي مزروعة في النفس البشرية، ولا تسجل أعمال وأفعال العبد مخلوقات خارجه.

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ {13} وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ {14} يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ {15} وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ {16} وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ {17} ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ {18} يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ {19}.

تأكيد للثواب والعقاب نتيجة للحساب الذي يقوم على ما صدر من كل شخص لنفسه ولا يقوم أحد بعمل نيابة عن الآخر. وهو ما ستؤكد سور أخرى فيما بعد بأنه لا تزر وازرة وزر أخرى.

الانشقاق

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ {1} وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ {2} وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ {3} وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ {4} وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ {5}

تكرار للصورة التي قدمتها السورة السابقة عن نهاية هذا الكون، حيث تنشق السماء "ينفطر نظام الكون"، ومدت الأرض وألقت ما فيها وتخلت "انفجرت".

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ {6} فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ {7} فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا {8} وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا {9} وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ {10} فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا {11} وَيَصْلَى سَعِيرًا {12} إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا {13} إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ {14} بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا {15}

تكرار للتساؤل في الآيات: 6-8 من السورة السابقة الانفطار، وهو تساؤل باستغراب من بقاء الإنسان - قريش هنا- على الكفر برغم تأكيد البراهين على قدرة الله الذي خلقه على إعادة خلقه.

كما تؤكد الآيات على أن الحساب سيكون بموجب صحيفة الأعمال، التي صورتها السورة هنا بصورة مختلفة وكأن الإنسان سيعطى سجل مكتوب يوم القيامة. فمن حمله بيمينه فمصيره الجنة ومن حمله خلف ظهره فمصيره النار. واليمين كناية على الصواب والصلاح والإيمان، كما في الآية 39 من سورة المدثر. ووراء الظهر كناية على سوء العمل.

فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ {16} وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ {17} وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ {18} لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ {19}

فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ {20} وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ {21} بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ {22} وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ {23} فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ {24}

تأكيد لما ذكرته الآيتان 16-17 من سورة الأعلى، والآيات: 6-8، والآية 8 من سورة الانفطار، من أن الناس جبلوا على حب الدنيا وعدم التصديق بالآخرة، برغم توفر الدلائل، وتبشّرهم بعذاب أليم.

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ {25}.

"إلا" هنا ليست للاستثناء، فلو كانت كذلك فلن يستقيم المعنى. لأنها ليست استمرار للعبارة السابقة لها، ولكنها تبدأ بموضوع جديد، هو الحديث عن مصير المؤمنين وأن لهم الجنة. لذا فهي بمعنى "أما". حيث انتهى الحديث عن الذين كفروا وبدأ الحديث عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

ثم نزلت سورة التكوين لتؤكد أن البعث سيكون بعد انهيار هذا الكون وتعطي صوراً حسية لذلك. وتؤكد على أن الحساب سيكون بموجب صحيفة الأعمال، كما سبق من سور.

التكوين

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ {1} وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ {2} وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ {3} وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ {4} وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ {5} وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ {6} وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ {7} وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ {8} بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ {9} وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ {10} وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ {11} وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ {12} وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ {13} عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ {14} فَلَا أَقْسَمُ بِالْخُنُوسِ {15} الْجَوَارِ الْكُنَّسِ {16} وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ {17} وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ {18} إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ {19} ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ {20} مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ {21} وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ {22} وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ {23} وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ {24} وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ {25} فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ {26} إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ {27} لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ {28} وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ {29}.

وسورة التكوين تؤكد بالقسم لقريش أن محمد ليس مجنوناً – كما يظنون – ولكن ما يتلو عليهم تلقاه بواسطة أحد الملائكة سبق ورآه بداية البعثة، عندما ظهر له في الأفق (23). وكل ما يتلو محمد عليكم ليس من عنده ولا وساوس شيطان بل هو وحي وتذكرة لمن يرغب في النجاة.

وهذا يعني أن قريش بدأت تتهم محمد أنه مجنون أو أن ما يقوله أوحى به له شيطان (كونهم يؤمنون بالخرافات). وهذا تطور في الشارع المكي حيث بدأت قريش تتذمر من دعوة محمد ولم يعد تجاهلها يكفي.

ثم نزلت سورة الشمس كأول سورة في القرآن تذكر أمة من الأمم السابقة التي كذبت برسولها (كما تفعل قريش) فأهلكها الله، لعل قريش تعتبر مما حدث.

وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا {1} وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا {2} وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا {3} وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا {4} وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا {5} وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا {6} وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا {7} فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا

وَتَقَوَّاهَا {8} قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا {9} وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا {10} كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا {11} إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا {12} فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا {13} فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا {14} وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا {15}.

((السورة لم تقدم تعريفاً لثمود، وهو ما يعني أن قريش تعرفها تمام المعرفة)).

سورة الليل التي نزلت بعد ذلك تعد وتبشر من يعطي (ينفق) ويتقي (يؤمن) ويصدق (بالبعث) وتتوعد من لا ينفق ويكذب بالآخرة. وتكرر هذا الوعيد للكافر والوعد للمؤمن مرة أخرى.

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى {1} وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى {2} وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى {3} إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى {4} فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى {5} وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى {6} فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى {7} وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى {8} وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى {9} فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى {10} وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى {11} إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى {12} وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى {13} فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى {14} لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى {15} الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى {16} وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى {17} الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى {18} وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى {19} إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى {20} وَلَسَوْفَ يَرْضَى {21}

(الآيتان: 5 ، 18) تؤكد على الإنفاق أو التزكي. وهو ما يعني أن الإنفاق هو الزكاة، لأنه يزكي (يطهر المال).

ومثل سورة الليل نزلت سورة الطارق، تعد وتتوعد.

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ {1} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ {2} النَّجْمُ الثَّاقِبُ {3} إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ {4} فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ {5} خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ {6} يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ {7} إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ {8} يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ {9} فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ {10} وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ {11} وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ {12} إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ {13} وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ {14} إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا {15} وَأَكِيدُ كَيْدًا {16} فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا {17}

وتصور صحيفة الأعمال وكان هناك مسئول مع الإنسان يسجل عليه أعماله إن كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ {4}.

ولأول مرة تطلب السورة من الإنسان (قريش) التفكير بالكيفية التي خلقوا بواسطتها، لتدلهم على قدرة الله في بعثهم: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ {5} خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ {6} يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ {7} إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ {8}.

وتؤكد على أن ما يتلى عليهم (القرآن) وما يدعوا له حق.

ثم تنزل سورة الفجر لتتحدث عن ثلاث أمم سابقة تعرفها قريش، أهلكها الله لأنها لم تؤمن برسالتها، لعلها تعتبر. والأمم هي: إرم ذات العماد (عاد)، وثمود، وفرعون. وهذه ثاني مرة تذكر أمم سابقة بعد سورة الشمس التي ذكرت ثمود.

وَالْفَجْرِ {1} وَلَيَالٍ عَشْرٍ {2} وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ {3} وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ {4} هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَجْرِ {5} أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ {6} إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ {7} الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ {8} وَثُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ {9} وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ {10} الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ {11} فَأَكْفَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ {12} فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ {13} إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِمْرِصَادٍ {14} فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ {15} وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ {16} كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ {17} وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ {18} وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا {19} وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا {20} كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا {21} وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا {22} وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى {23} يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي {24} فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ {25} وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ {26} يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ {27} ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً {28} فَادْخُلِي فِي عِبَادِي {29} وَادْخُلِي جَنَّتِي {30}

وذكر هذه الأمم باختصار، لكن فيما بعد ستتوسع السور بالحديث عنها وكيف أهلكت، لعل قريش تعتبر مما حدث وتؤمن.

وتؤكد السورة كما سور سابقة على أن قريش يتمسكون بالحياة ولا يفكرون بالآخرة (17-20).

(الآيتان: 17-18) تفرض إكرام اليتيم (تعاملاً ومادياً) وتؤكد على الإنفاق على المسكين (المحتاج) الذي سبق وفرض في الآية 44 من سورة المائدة. ((لاحظ أن الإنفاق يكون على المحتاج بغض النظر عن معتقده، وليس فقط على المسلم منهم))

وتؤكد سورة الفجر في آخرها على أن البعث بعد انهيار الكون (21)، وتتوعد المكذب وتعد المؤمنين.

وسورة البلد التي تلت في النزول سورة الفجر تؤكد أن قريش لو فكرت بخلق الإنسان لكان كاف لإثبات إمكانية البعث.

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ {1} وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ {2} وَالْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ {3} لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ {4} أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ {5} يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا {6} أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ {7} أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ {8} وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ {9} وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ {10} فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ {11} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ {12} فَكُّ رَقَبَةٍ {13} أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ {14} يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ {15} أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ {16} ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ {17} أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ {18} وَالَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ {19} عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ {20}

وتؤكد (الآيات: 13-16) أن الإنفاق المطلوب في تلك المرحلة كان في فك الرقاب (عتق من أسر أو رق)، أو إطعام المحتاج واليتيم خاصة في وقت المجاعة، ولو أضيف لذلك الإيمان والصبر على الأذى والتراحم في التعامل فهو المطلوب للجنة في تلك المرحلة.

((من المهم ملاحظة أن الإنفاق يكون في سد الاحتياجات بأنواعها وقت الحاجة لها. فكما رأينا كان هناك سور سابقة تأمر بالإنفاق للمسكين، ثم لمسكين واليتيم. والآن التوجيه بالإنفاق للمسكين واليتيم وفك الرقاب. وهو ما يعني أن الحاجة وقت نزول السورة للإنفاق في هذه المجالات لأي سبب كان. فقد يكون حدث حرب قريبة من مكة وكان بها أسرى. أو كان هناك رقيق مسلم لن يعتقه سيده المشرك إلا بدفع فدية أو أي أسباب أخرى. المهم هو أن الإنفاق تشريع هام في الإسلام يعني بأخذ مال من القادر وصرفه في مجالات الحاجة. وسنرى أنه سيطلب صرف الإنفاق في مجالات أخرى كثيرة. وهذا لا يعني أن كل آية تأمر بالإنفاق تنتسخ الأوامر السابقة بل تعني أن كل أمر في الإنفاق يضاف لأوامر سابقة. وليس مهما سمي إنفاق أو زكاة أو صدقة..الخ)).

((ملاحظة أخرى من الآية 17 التي تقول: "ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ". حيث أن هذه أول مرة توصي سورة بالصبر لمن آمن مع محمد. وهذا يشير إلى أن قريش قد صعدت من استفزازها للمسلمين القلة مع محمد، لأن مبادلة الاستفزاز بمثله يسهل الطريق لقريش لإيذائهم)).

ثم نزلت سورة القيامة التي أكدت على البعث الذي تصر قريش على إنكاره (أو الإنسان كما يخاطبها القرآن هنا وفي عدد من سور سابقة وأخرى ستأتي): {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} {1} وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} {2} أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ} {3} بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ} {4} بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرَأَمَامَهُ} {5} يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ} {6}.

وقوله " بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ. يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " يبين أن تساؤل قريش ليس بحثاً عن الحقيقة ولكنه لتبرير استمرارهم رفض دعوة محمد.

وتعطي الآيات: 7-10 صوراً حسية لانتهيار الكون مكررة أن البعث لن يكون في هذا الكون بل بعد انهياره.

فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ {7} وَخَسَفَ الْقَمَرُ {8} وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ {9} يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ
الْمَقَرُ {10}

وتؤكد الآية: 13 أن الحساب سيكون حسب صحيفة الأعمال، كما سور سابقة: يُنَبِّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ
بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ {13}.

وتقول الآيتان: 14-15: بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ {14} وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ {15} الإنسان
يقرر هو مصيره بنفسه، ولن يعذر لكفره لأي سبب، مثل قوله أن الله لو أراد هدايته لهداه، وهو
ما ستستمر قريش بتكراره في سور لاحقة مثل: {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا
آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ
فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ {الأنعام 148}

ويبدو أن الرسول يردد بينه وبين نفسه وبصورة عفوية نصوص الوحي التي يجدها رسخت في
ذاكرته، فطمأنته الآيات أنه لن ينساه ولا حاجة لأن يردده: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ {16} إِنَّ
عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ {17} فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ {18} ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ {19}. وكل ما عليه فعله
هو أن يتلو ما يوحى إليه على قريش كما نزل، دون الحاجة لا لشرحه أو التعليق عليه بكلامه
هو: ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ. (هذا دليل هنا - لمن ينشئ فهارس - على أن الدعوة كانت بتلاوة القرآن
فقط. وهذا هو حد مسئولية محمد في التبليغ. بعكس ما يقول المفسرون والمحدثون).

وهذه هي المرة الثانية التي تؤكد الآيات أن القرآن ينسخ في الذاكرة ولن ينساه الرسول، بعد
سورة الأعلى: سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى {6}.

الآيات: كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ {20} وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ {21} تؤكد أن قريش يفضلون الدنيا ولا
يعملون للآخرة، وقد سبق وأكدته سور سابقة الآيات: 6-8 من سورة العلق، والآيتان: 16-17
من سورة الأعلى.

الآيات: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ {22} إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ {23} وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ {24} تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ {25} تقدم صوراً حسية افتراضية (كناية) لمصير المؤمن والمكذب. وهنا يجب ملاحظة قوله تعالى: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ {22} إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ {23}.

فالبعض يأخذها على أنها تعني رؤية رب العالمين. وبعيداً عن نقاش هذه الإمكانية نقول أن الآيات هنا لا تتحدث عما سيكون بقدر ما تعطي كناية تصور تصويراً محسوساً يسهل فهمه أن المؤمن سيكون في نعيم وسعيد، بعكس المكذب الذي سيلقى العذاب والبؤس.

والآيات الباقية من السورة هي: كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّرَاقِي {26} وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ {27} وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ {28} وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ {29} إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ {30} فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى {31} وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى {32} ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى {33} أَوْلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ {34} ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ {35} أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى {36} أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّنْ مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ {37} ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ {38} فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ {39} أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ {40}

تستمر بإعطاء كنايات لتصور حسياً أن البعث سيكون بعد الموت، وهناك سيكون مصير المكذب سيئاً. وكان بإمكانه أعمال عقله والتفكير في كيفية خلقه ليستدل بأن البعث ممكن وينجوا من النار.

وقد ذكرت الصلاة هنا كعبادة مطلوبة مع الإيمان (التصديق) لدخول الجنة: فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى {31}. وهذا لا يعني أن الإنفاق المذكور في سور سابقة غير مطلوب أو أن من صلى فقط وصدق سيدخل الجنة ولو لم ينفق. لكن أسلوب القرآن الذي سنعتاد عليه قد يذكر بعض التشريعات ولا يذكر بعضها، وهذا يعني أن نفهم أنه متى ما فرض القرآن تشريعاً فهو مطلوب حتى لو لم تذكره بعض الآيات بعد ذلك. وسيوضح ما أقول لو تتبع القراء السور التي تتحدث عن الإنفاق، حيث سنجدها تارة تذكر مجالات للإنفاق لا تذكرها في سور لاحقة. وهذا لا يعني أن الإنفاق في تلك المجالات لم يعد مطلوباً. بل أن الإنفاق يجب في كل مجال للإنفاق ذكرته سورة. وسنعيد الحديث عن هذا الموضوع لاحقاً في السور المدنية.

وبرغم أن قریش أعلنت موقفها الذي لن يتغير والرافض تماماً لدعوة محمد. لكن النقاشات بين رجالها حول إمكانية البعث من عدمه كانت تطفو على السطح أحياناً. فالبعض كان يقتنع بما يسمع من محمد عن البعث وأن الله الذي خلق الإنسان من لا شيء قادر على إعادة بعثه، بينما البعض الآخر يصر على استحالة البعث والقيامة، وفي مثل هذه الأجواء السائدة في مكة سورة النبأ التي

تبدأ بالحديث عن تلك المشاهدات: عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ {1} عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ {2} الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ {3}.

وتواصل السورة: كَلَّا سَيَعْلَمُونَ {4} ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ {5} أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا {6} وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا {7} وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا {8} وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا {9} وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا {10} وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا {11} وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا {12} وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا {13} وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا {14} لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا {15} وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا {16} إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا {17} يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا {18} وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا {19} وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا {20} إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا {21} لِلطَّاغِينَ مَابًا {22} لَا يَبِثْنَ فِيهَا أَخْقَابًا {23} لَا يَذُقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا {24} إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا {25} جَزَاءً وَفَاقًا {26} إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا {27} وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا {28} وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا {29} فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا {30} إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا {31} حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا {32} وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا {33} وَكَأْسًا دِهَاقًا {34} لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا {35} جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا {36} رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا {37} يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا {38} ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَابًا {39} إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ ثَرَابًا {40}

حيث تدعوا (الآيات: 4-16) قريش للتفكير في الخلق الذي حولهم ومن فوقهم وتحت أرجلهم، لتقول أن من خلق هذا الخلق لن يعجزه البعث.

وبعد أن كانت السور السابقة تؤكد أن البعث سيكون بعد انهيار هذا الكون، تذكر هذه السورة أن يوم القيامة (الفصل) سيأتي في وقت معلوم محدد، (أي أن لهذا الكون عمر محدد) وتذكر – ولأول مرة – أنه سيكون في كون جديد (الآيات: 17-18).

(دليل على أن القيامة ستكون في كون جديد لمن يسجل أدلة قرآنية على مواضيع مختلفة)

وتعطي (الآيات: 19-20) صوراً حسية لانهيار هذا الكون.

وصوراً حسية لما في جهنم لمن كذب بالبعث (الآيات: 21-28).

(الآية: 29) تؤكد على صحيفة الأعمال التي يسجل فيها كل شيء.

(الآيات: 31-36) تصوير حسي لنعيم الجنة المعد للمؤمنين للترغيب.

(الآية: 38) صورة حسية لما سيحدث يوم الحساب، لتأكيد أن الله جل وعلا هو وحده من سيقوم بالحساب. (بطبيعة الحال هذا لا يعني أن الناس سيقفون وكأنهم في محكمة وأمامهم رب العالمين ثم كل شخص يخرج ويحاكمه الله ويحكم عليه وهكذا. لكن الصورة فقط للتقريب في الذهن. وإلا فالحساب سيتم بآلية وإن كنا لا نستطيع تخيلها إلا أن الآيات الكثيرة التي تتحدث عن صحيفة العمال تشير إلى أن آلية الحساب تقوم على عرض أعمال كل شخص عليه وسيعرف مصيره بناء على ذلك السجل. فكل شخص سيعرض عليه شريط صحيفة أعماله دون الحاجة لانتظار غيره. أي سيكون العرض في وقت واحد لكل الناس، كل إنسان يرى شريطه على حده.

(الآية: 39) دليل آخر على أن الهداية والضلال خيار شخصي: "فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا"

وتختتم السورة بتصوير حال المؤمن والكافر يوم الحساب، حيث سيسر المؤمن بما قدم بينما سيتحسر الكافر (40).

هنا قریش تعيش فترة من اللا-توازن، لأنهم لم يتمكنوا من تصور إمكانية الحياة بعد الموت. فالسور السابقة النبأ تؤكد أنهم يتساءلون عن البعث (بعضهم يميل للتصديق والبعض ينكر)، وفي هذا الجو تنزل سورة "ق" لتخبرنا أن حالة اللا-توازن لازالت مستمرة بين رجال قریش:

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ {1} بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ {2} أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ {3}.

وسورة "ق" من سور الكنايات والصور الحسية الناطقة. حيث تصور الحساب وصحيفة الأعمال وجهنم وكأن لديها القدرة على الحديث. وهذا لنسج صور يسهل تخيلها ويقوي تأثيرها في النفس. (المؤسف أن المفسرين اعتبروا أن جهنم ستتكلم بالفعل).

وتواصل السورة: قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ {4} بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ {5} أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ {6} وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ {7} تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ {8} وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ {9} وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ {10} رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ {11}

تكرر السورة الطلب منهم أن يستخدموا عقولهم في التفكير بالخلق ليستدلوا على قدرة الخالق على البعث، كما في السورة السابقة.

وتقول السورة : كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ {12} وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ {13} وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ {14} أن تكذيب قريش ليس مستغرباً فهي تبعت سنن من كان قبلها من أمم ذكر بعضهم دون تفصيل. وهذه المرة الثالثة التي يذكر القرآن أمم سابقة بعد الشمس والفجر.

وتتساءل أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ {15} إن كان الخالق خلق كل الكون من لا شيء (الخلق الأول) فلماذا يصعب عليهم التصديق بالبعث (تجديد الخلق).

وتتواصل الآيات: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسُّوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ {16} إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ {17} مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ {18} وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ {19} وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ {20} وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ {21} لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ {22}

هذه الآيات تصف تسجيل الأعمال (تلك الآلية الموجودة في النفس) وكأن هناك مخلوقات حية ملتصقة بكل شخص تسجل عليه أعماله. كما تعبر عن نشر تلك الأعمال يوم القيامة بكناية وكأن الإنسان قد غطي بغطاء ويوم القيامة يكشف ويصبح بصره حديد (كناية على وضوح التسجيل وأنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها كما ستعبر عنه سورة قادمة).

(الآيات: 23-29) وستستمر السورة تقديم كنايات وصور ناطقة عن الأوضاع: وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ {23} أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ {24} مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ {25} الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ {26} قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ {27} قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ {28} مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ {29}.

في هذه الآيات تصور مشهداً للحساب وكأنه سيكون هناك نقاش حاد بين الشخص وبين صحيفة أعماله (قرينه). وكان الله سيتدخل ويفض النزاع بالتأكيد على أن قوانينه لا تتبدل، ومن ذلك أن من كذب فمصيره النار.

الآية: يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ {30} تصور جهنم بصورة ناطقة (ترهيب).

وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ {31} هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ {32} مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ {33} ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ {34} لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ {35} تصوير حسي لنعيم الجنة (ترغيب).

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ {36} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ {37} تكرر السورة أن قریش لو كانوا يعقلون لا اعتبروا مما حدث لأمم سابقة، كذبوا فأهلكوا.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ {38} تأكيد على أن البعث لن يكون عسيراً على الخالق الذي خلق هذا الكون دون تعب.

هنا أول مرة يذكر القرآن خلق السموات والأرض في ستة أيام، وسيكرر في سور قادمة. (اليوم هنا يعني عصر جيولوجي، فالיום في اللغة يعني 24 ساعة ويعني فترة زمنية).

وتتوجه الآيات لمخاطبة محمد: فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ {39} وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ {40} وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ {41} يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ {42} إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ {43}

وهي تظهر أن محمد قد تزايدت عليه الضغوط النفسية من قریش. ويمكن تخيل نوعية تلك الضغوط. فهو استمر يتلوا على قریش سوراً تردد أن هناك بعث بعد الموت وعليهم العمل لذلك اليوم. فكانوا يطالبونه بأن يقدم لهم دليلاً محسوساً عن إمكانية حدوثه. وعندما لم يقدم لهم سوى الأمر بالتفكير بالخلق واستخدام العقل للاستدلال على أن البعث ممكن، كانوا يسخرون منه ويكذبونه ويسمعوه الكلمات النابية، وهو ما يؤلمه ويحطم معنوياته. فجاءت هاتان الآيتان لترفع من معنوياته وتشجذ همته، بأن يداوم على تسبيح الله وإحضاره في النفس على الدوام، والانتظار فيوم القيامة قريب، وعندها سينالون جزاءهم.

وقوله: "وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ" دليل آخر على أسلوب القرآن الفريد، فالآية حرفياً تطلب من محمد أن ينتظر وسيستمع للمنادي يوم القيامة. وبطبيعة الحال محمد لن ينتظر

حتى تأتي القيامة، ولكنه كناية على أمره بالصبر وستحل القيامة سريعاً وسيلقى المكذبون جزاءهم.

وتختتم السورة قائلة: يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ {44} نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ {45}

(الآية: 44) صورة حسية وكناية عن البعث، تصور الناس وقد تشققت الأرض عنهم وخرجوا يجرون للحساب. وهذا لن يحدث، لأن ما سيحدث في عالم القيامة من علم الغيب ولا يمكن لنا تصوره، لكن هذا التصوير لتقريبه في الذهن. (يمكن القراء ملاحظة وتسجيل أن القرآن يعطي أنواعاً مختلفة لوصف البعث، مما يؤكد أنه صور لتقريبها للذهن))

(الآية: 45) تأكيد على أن مسؤولية محمد تنتهي بالتبليغ ، المتمثل بتلاوة القرآن، وليس من مسؤوليته هداية الناس أو إقناعهم بالحق.

ويمكن القول: برغم أن السور السابقة لم تحمل لنا أي إشارة تدل على أي تصرف عدائي من قريش ضد من أسلم، إلا أن "ق" تشير إلى أن الضغوط النفسية على الرسول تزايدت.

الواقعة السورة التي تلت "ق" في النزول تتحدث بوجه عام عن أن الجنة تتكون من مستويين، واحد للمقربين والمستوى الأقل لأصحاب اليمين. ويمكن القول أن المقربين هم من آمن وعمل صالحاً وحرص على تجنب الصغائر من المعاصي، والقيام بصغائر البر في التعامل، فهؤلاء كونهم يمثلون القدوة الحسنة للمسلم في عباداته وتعامله وأخلاقه، لهم مستوى عال في الجنة. بينما سيدخل الجنة كل من آمن وعمل صالحاً (اجتنب الكبائر) ولو صدر منه بعض الصغائر.

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ {1} لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ {2} خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ {3} إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا {4} وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا {5} فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا {6} وَكُنُثُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً {7} فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ {8} وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ {9} وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ {10} أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ {11} فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ {12} ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ {13} وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ {14} عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ {15} مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ {16} يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخْلَدُونَ {17} بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ {18} لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ {19} وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ {20} وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ {21} وَخُورٍ عَيْنٍ {22} كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ {23} جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {24} لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا {25} إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا {26} وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ {27} فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ {28} وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ {29} وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ {30} وَمَاءٍ

مَسْكُوبٍ {31} وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ {32} لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ {33} وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ {34} إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً {35} فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً {36} غُرْباً أَثَرَاباً {37} لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ {38} ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولِينَ {39} وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ {40} وَأَصْحَابُ الشَّامِلِ مَا أَصْحَابُ الشَّامِلِ {41} فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ {42} وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ {43} لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ {44} إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ {45} وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ {46} وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ {47} أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ {48} قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ {49} لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ {50} ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ {51} لَأَكْلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ {52} فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ {53} فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ {54} فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ {55} هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ {56} نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ {57} أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ {58} أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ {59} نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ {60} عَلَىٰ أَنْ تُبَدَّلَ أَمْثَالُكُمْ وَتُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ {61} وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ {62} أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ {63} أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ {64} لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ {65} إِنَّا لَمُعْرِضُونَ {66} بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ {67} أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ {68} أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ {69} لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ {70} أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ {71} أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ {72} نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِلْمُقَرَّبِينَ {73} فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ {74} فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ {75} وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ {76} إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ {77} فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ {78} لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ {79} تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {80} أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ {81} وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ {82} فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ {83} وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ {84} وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ {85} فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ {86} تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {87} فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ {88} فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَّعِيمٌ {89} وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ {90} فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ {91} وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ {92} فَنَزَّلْنَا مِنْ حَمِيمٍ {93} وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ {94} إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ {95} فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ {96}

ثم نزلت الغاشية

تبدأ السورة بتقديم صور حسية لانهايار الكون، كما تقدم صوراً حسية لما في الجنة والنار. (ونؤكد أن أي صور حسية لعالم القيامة من بعث وحساب وجنة ونار، هي لتقريبها في ذهن المخاطب "قريش" ولا تتحدث عما سيحدث حرفياً. لأن عالم القيامة مختلف عما نعرفه وما تستوعبه مداركنا): هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ {1} وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ {2} عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ {3} تَصْلَىٰ نَاراً

حَامِيَةً {4} تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ {5} لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ {6} لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنَ جُوعٍ {7} وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ {8} لِسْعِيهَا رَاضِيَةٌ {9} فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ {10} لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً {11} فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ {12} فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ {13} وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ {14} وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ {15} وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ {16} أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ {17} وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ {18} وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ {19} وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ {20}.

والآيات الباقية تؤكد على ما سبق وذكرته سور سابقة أن مسؤولية الرسول تنتهي بالتذكير "تلاوة الوحي على الناس" وليس مسئولاً عن هدايتهم أو إقناعهم باتباع الحق، فالله هو من سيحاسبهم: فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ {21} لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ {22} إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ {23} فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ {24} إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ {25} ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ {26}.

هنا دليل آخر على أن "إلا" قد تأتي بمعنى "أما"، لأنها بدأت الحديث عن موضوع جديد: فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ {21} لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ {22} إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ {23} فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ {24}.

فلو كانت "إلا" للاستثناء، فكأن الآيات تقول أن الرسول ليس مسئولاً عن هداية الناس إلا من تولى وكفر فهو مسئول عنه.

لكن لو كان معناها "أما" فسيستقيم المعنى: فالرسول ليس مسئولاً عن هداية البشر. ونقف هنا لأن الموضوع إنتهى. وتبدأ "إلا" بموضوع جديد، لتقول: أما من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر.

وإلى لقاء غداً إن شاء الله مع اليوم رقم 3

والسلام عليكم